المبحث الأول

النهوض بالوطن

أولى الشاعر إبراهيم خليل علاف مسألة النهوض بالوطن اهتماماً كبيراً يتناسب مع المكانة السامية التي يتبوأها في وجدانه. ولعلنا لا نجانب الصواب إذا ما قلنا: إنه من أكثر الشعراء السعوديين دعوة إلى النهوض بالوطن وتقدمه ورقيه. وقصائده الكثيرة التي حوتها مجموعته الكاملة، والتي تدور حول هذا الجانب تفصح عن ذلك وتؤكده. فهو كثير الحث على النهوض بالوطن في كل الميادين والمجالات، يدفعه إلى ذلك حبٌّ عميق، وشوق جارف إلى رؤيته وقد هبَّ من سباته، و تحرر من قيود الجهل التي ظل يرسف فيها زمناً، وشرع يغذ الخطى صوب المجد، وصولاً إلى المكانة الرفيعة التي تليق به، باعتباره مهد الإسلام، ومشرق أنواره الساطعة، ومهوى أفئدة المسلمين في كل زمان ومكان.

وفي قصيدته (وطني) تطالعنا تلك الرغبة المشتعلة في وجدانه، وذلك التوق لرؤية وطنه وقد عمته النهضة، وشاعت فيه مظاهر التقدم والرخاء. حيث يقول[13]:

وطني العريقُ متى أراكَ مُجَلِّياً
للدِّينِ والدُّنيا عليكَ جَلالُ

أتُرى أُعَـمِّـرُ كـي أَلَذَّ بنهـضـةٍ
مـبـثـوثـةٍ بفـروعِـهـا الآمـالُ
ياغـيـبُ بَشِّـرني بربِّكَ عن غَـدٍ
إنَّ الْفُـؤَادَ يَـؤودُهُ الإمْـهـالُ
فامشِ العُجَيلى يازمانُ فإنَّني
صَبٌّ العَـيـانِ ومـا لَدَيَّ خَـيـالُ

وواضح من هذه الأبيات مدى حرص العلاف على نهضة وطنه وتقدمه، واستعجاله تحقق ذلك؛ حتى تكتحل عيناه برؤية أحلامه وأمانيه وقد أصبحت واقعاً ملموساً، يدخل البهجة إلى فؤاده الذي أرهقه الانتظار.

ونظراً لاستحالة تحقق الأماني والأحلام -مهما كانت -دون بذل أي جهد يذكر، والنهوض والتقدم الذي تتشوق إليه الأحداق دون أسس ودعائم قوية، وخطط تنموية طموحة، تتبعها جهود حثيثة وسعي دؤوب يكفل تحقيق ذلك كله ؛ وجدنا العلاف يلفت الانتباه إلى الأسس والدعائم التي سيقوم على إثرها الوطن وينهض، ويوجه القائمين على وطنه والمنتمين إليه إلى ضرورة تحقيقها مجتمعة، لأنها - في نظره - قادرة على الوصول بالوطن إلى ما يصبو إليه من أمانٍ وأحلام.

وللوقوف على الرؤى والأفكار التي طرحها العلاف في شعره

للنهوض بوطنه، وأخذ مكانه الطبيعي بين سائر الأوطان، رأينا تناولها مرتبه حسب أهميتها:

1- الدعوة إلى نشر العلم والحث عليه

يعد العلم أبرز سمات العصر الذي نعيش فيه، (فكل ما نشهده من جديد في العالم، وما نعجب به من طريف في هذه الحياة، وما نسمع به من خير أو نصطلي به من شر إنما مرده إلى العلم، ومرجعه إلى الثقافة)[14].

وقد أدرك العلاف هذه الحقيقة، بعد أن ذاق حلاوة العلم والتعليم، ووقف على الاختراعات والإنجازات التي حققها إنسان هذا العصر بفضله. فأنشأ يحث على نشره على أوسع نطاق، وإتاحته لكل أبناء الوطن، وعدم قصره على فئة دون أخرى، ويدعو إلى تشييد المدارس المهيأة لتلقيه. ولم يتوقف عند هذا الحد في دعوته إلى نشر العلم وإنما تجاوزها إلى المناهج الدراسية، حيث دعا إلى ضرورة تحديثها وتطويرها ؛ حتى تلائم روح العصر ومتطلباته.

يقول في قصيدته (يد الإصلاح) التي ألقاها بين يدي الأمير فهد بن عبد العزيز بعد توليه منصب وزير المعارف[15]:

هذي الكتاتيبُ قد أدَّتْ رسالتَها
وفَاتَ عَهْدٌ لها كانتْ تُنَاغِيهِ

يَشْكُو الصِّغارُ إليكم سُوءَ حاضرِهم
فيها وأضْرارَها في كُلِّ تَوْجيه
أوْلِ الرَّعيةَ بالإشْفاقِ ليس لهم
من عجزِهم حيلةٌ إلاَّ تناسيه
ولِلْمناهِجِ فوضى لاتبوحُ بها
لِغَيْرِكُمْ تَتَحدَّى أيَّ تَنْزِيهِ
شَطَّتْ عن الغايةِ القُصوى وَطاشَ بها
عقلُ الشَّبابِ و أبلى في تلوِّيهِ

ويدعو إلى الاهتمام بتعليم من فاتهم الالتحاق بركب العلم والنهل من ينابيعه في الصغر، وضم بعض المؤسسات الأهلية التي أنشئت لتحقيق تلك الغاية إلى وزارة المعارف، ومدها بكل ما يساعدها على أداء رسالتها، وتشييد السكن لطالبي العلم في المدن الكبرى من أبناء القرى والبوادي التي لم تصلها أنوار العلم بعد[16]:

وشِدْ بِفَضْلِكَ لِلطُّلابِ أَبْنِيةً
تُؤْي الغَريبَ وَمَنْ رقَّتْ حواشيه
واشْمُلْ بِعَطْفِكَ واسْتَصْلِحْ (مؤسسةً
شَعْبيةً) جَهْدَها في البعثِ تُعْطيه
ضَمَّتْ شباباً أرادَ العَيشَ طِلْبَتُهُمْ
من الدراسةِ قسراً في دواعيه

كَمْ بينهم من ذكيٍّ الفَـهْـمِ ذي هِبَـةٍ
وقُـدْرةٍ تَتَـــــجَـلَّى فـي أَيـاديـهِ

وإيمانا من العلاف بضرورة الاستفادة من تجارب وخبرات الأمم التي سبقتنا في طريق العلم والتقدم والنهوض، وجدناه يدعو إلى إدخال اللغة الأجنبية في المناهج الدراسية لطلاب المراحل المتقدمة، بوصفها لغة العلم والحضارة في العصر الحديث[17]:

وللُّغـاتِ لدينا نَظَرَةٌ شَـحُـبَتْ
ومـا لأَضْـيـافِـهـا بيتٌ تُوَلِّيـه

ولما كان النهوض بالوطن هو الغاية التي يطمح إليها الجميع - حكومة وشعباً - فقد رأى العلاف ضرورة منح المرأة في وطنه حقها في التعليم وفق الضوابط الشرعية، لأن المرأة نصف المجتمع، وعليها يعول في إعداد الأجيال إعداداً سليماً، والمرأة الجاهلة -كما يرى -لا تحسن صنع الرجال[18]:

وللفتـاةِ رجـاً لـولا الحِـجـابُ لـمـا
وقـــفـتُ عنـهـا لـديكَ الآنَ أُبديـه
العِلْمُ في شـرعِـةِ الإسـلامِ مُشْـتَـرَكٌ
مـا كَـانَ وقْـفـاً على بَعْضٍ فـيـحـويه
وأَفـضـلُ العِلْمِ مـا يرعي أنوثَتَـهـا
حـذارِ أن تُبْـتَلى فـيـهـا بتـشـويـه

والأمَّـهـاتُ إذا مـا كُنَّ في سَـفَـهٍ
فاحْكُمْ على الجيلِ أنَّ النَّقْصَ حاديهِ

ولم يغفل العلاف عن دعوة أبناء الوطن - لاسيما النشء - إلى الالتحاق بركب العلم، والنهل من ينابيعه الثرة الصافية، وجعله - بفروعه المختلفة -شغلهم الشاغل ؛ لأنه غذاء الروح، وخير معين لهم على تحقيق آمالهم وطموحاتهم في الحياة[19]:

أَسِـفْتُ لمن يحـيـا وليس يَهـمُّـه
سـوى بَهْـرجٍ من عـيـشـهِ يتَـحَـوَّلُ
يَعـيـشُ حـيـاةً بالحـوائِجِ ثَـرَّةً
ولكنَّ حَـقَّ الرُّوحِ فـيـهـا مُـعَطَّلُ
يَقـيسُ بميـزانِ السَّـوادِ أمُـورَهُ
ويَقْنَـعُ بالتَّـقْليـدِ لا يَتَـمَلْملُ
هَبـاءٌ حـيـاةُ المرءِ دونَ تـزودٍ
من العِلْم يُفْـضي بالرُّقيِّ وَ يَصْـقُلُ

ويحفـز الآباء إلى المسارعة في تسجيل أبنائهم في المدارس التي أخذت في الانتشار، عن طريق تقديمه للفوائد التي سيجنيها أطفالهم من وراء طلبهم العلم والتحاقهم بدوره[20]:

هو الشَّجـاعـةُ لـلأطفـالِ تَحـفُـزهم
إلـى الحَـراكِ ولِعبٌ باتَ يُنْتَظرُ

هو الرَّبيعُ لإحـــساسٍ و تَبْـصِـرةٍ
أما الضُّحَى فحَياةٌ خَافَهـا الضَّجَرُ

يَسْري إلى الكَوْنِ في عُمْقٍ وفي سَعَةٍ
مُزاوجـاً فـإذا الطَّاقـاتُ تَنْتَـشِـرُ

مـا أروع النَّشْءَ في إقـبـالِهِ نَشِطاً
إلـى المدارسِ والأفكارُ تَنْصَـهِـرُ

إنْ كَـانَ لِلَّيلِ من حُسْنٍ فـفي سَـمَـرٍ
الليلُ أُنثى، وأَمَّـا العَكْسُ فـالذَّكَـرُ

وعندما وقف شباب الوطن على أهمية العلم في زمن لم يعد يعتد بالجاهل - أياً كان - وشرعوا يغذون الخطى للالتحاق بركبه البهي - داخل الوطن وخارجه - أخذ يعلن عن سروره - ويبدي فرحته بتوافدهم على دور العلم زرافات ووحدانا، وبطموحهم المتقد الذي سيبلغهم ووطنهم المكانة العالية التي تتطلع إليها أحداق كل محب لهذا الوطن[21]:

عـلامَ نَسِـيمُ الشَّـرْقِ نَشْـوانَ يَلْعبُ
أَعَنْ نَبَـأٍ يَخْـتـالُ فِـيـه ويَطْرَبُ

أُحِسُّ خـيـالَ الصَّحْبِ يَمْـلأُ ناظري
و يَطْـرُقُ سَـمْـعي خَطوُهُ المتـوثِّبُ

يُشَـا غِلُني فـي طَيْـفِـه كُلُّ أَرْوعٍ
تُمَـثِّلُهُ الذِّكـرى إلـيَّ فَـأعْـجَبُ

أتو مـثلمـا تبـدو النُّجومُ عَـشِيَّـةً
فَـمِنْ كَـوْكَبٍ يَتْلُوه آخَـرُ كَـوْكبُ
إلـى أن تناهى عَـدُّهم فـتـلألأتْ
سـمـاءُ العُلـى واهتـزَّ لِلعلمِ مَنْكِبُ
وبُشِّـرتِ الآمـالُ حـين سَـعـوا لهـا
عَـذَارى يَكِلُّ العَـزْمُ عنهـا و يَنْضَبُ

2- الدعوة إلى إنشاء المشاريع الإنمائية

لم يغفل العلاف وهو يدعو إلى نشر العلم في وطنه، بوصفه الدعامة الأساس للنهوض بالوطن؛ عن دعوة أخرى لا تقل أهمية عن العلم، وإنما تقف معه جنباً إلى جنب في تحقيق آمال وطموحات الوطن والمنتمين إليه. وقد تمثلت تلك الدعوة في حثه على إقامة العديد من المشاريع التنموية، كإنشاء المصانع، و الاهتمام بالزراعة، وتشييد السدود، وتعبيد الطرق ..... وكل ما من شأنه تحقيق التقدم والتطور والرقي المنشود.

والذي شجع العلاف على هذه الدعوة وإلحاحه فيها، معرفته بالكنوز والخيرات الوفيرة التي تكتنزها أراضي وطنه، وقدرتها على تحقيق كل ما يطمح إليه، إن هي استثمرت ووظفت عائداتها للنهوض بالوطن والمواطنين.

والعلاف في كثير من شعره الذي دار حول هذا الجانب لا

يباشر الدعوة، و إنما يكتفي بإشعال طائفة من الأسئلة، أضرمتها في وجدانه غفلة أبناء وطنه وقعودهم عن استثمار الخيرات الوفيرة التي تنعم بها أراضيهم.

وهو من خلال تلك الأسئلة يسعى إلى بث الوعي لدى أبناء وطنه بأهمية تلك المشاريع التنموية -إن هي أقيمت -في تحقيق التقدم والتطور المأمول، ويحفز القادرين منهم مادياً على استثمار أموالهم في هذه المجالات، والمشاركة الفاعلة في نهضة الوطن.

ومن ذلك ما جاء في قوله[22]:

وَيْحَ نَفْسِي متى أراها تَزَيَّتْ
باكتفاءٍ يحفُّهُ التَّصْديرُ

واستحالَ الفَراغُ منها امتلاءً
وكساها بحُسْنِهِ التَّعْميرُ

واستقامَتْ مَسَالِكٌ ومُرورٌ
وتَرامَى بِظِلِّهِ التَّشْجيرُ

وغدا القَفْرُ مُشْبعاً باخضرارٍ
خالفٍ بَعْضُهُ رواهُ النَّميرُ

والمواشي تُزينُه مُطلقاتٍ
في مراعٍ مَتَاعُها إكسيرُ[23]

وجِبالُ السَّراةِ تِبْرٌ وزِنكٌ
وحَديدٌ يَشوبُهُ القِصْديرُ

وكنوزٌ خَفِيَّةٌ حَضَنَتْها
باعتزازٍ مَصَانِعٌ لاتَبورُ
تَوَّجَتْها مصائفٌ ورِياضٌ
تَتَغنَّى على رُؤَاها الطُّيورُ

ويتساءل في نص آخر عن المسافة الزمنية التي ستستغرقها رحلتنا صوب التقدم والرقي المنشود، ونحن في غفلة عن الكنوز التي تنعم بها أراضينا، وتنتظر بعثها من سكونها الذي طال، عن طريق إنشاء المصانع، وتشييد السدود لحفظ مياه الأمطار، والاستفادة منها في زراعة المساحات الشاسعة من الأراضي الخصبة[24]:

متى الوعْيُ يَطْغى والرُّكودُ يُغَادِرُ
متى المجدُ يَدْنو والقُوى تَتَضافَرُ
أسِفْتُ لِطاقاتٍ تَبَدَّدَ شَمْلُها
بِعَرْضِ الفيافي لم تُفِدْها البصائِرُ
تَبَادلَتِ الدُّنيا تَجَارِبَ نُجْحِها
وطوَّرَها بحثٌ وعِلْمٌ مُؤازِرُ
وصَالتْ صِناعاتٌ وأرْبَتْ زِراعةٌ
بها أمَمٌ عَزَّتْ وَهَبَّتْ تُتَاجِرُ
إذا جازَ في ماضي الحياةِ تهاونٌ
ودُلِّلَ طَبْعٌ بالصِّناعةِ سَاخِرُ

وأَضْحى على الأَمْطارِ جُلُّ اعْتِمادِنا
وضَيَّعنا زُهْدٌ عِقِيمٌ مُكابِرُ
فإِنَّ حياةَ اليومِ تَأْبى تَقَاعُساً
وَيَنْعَمُ بالحُسْنى الطَّموحُ المُثَابِرُ

وواضح من هذه الأبيات مدى حزن الشاعر العميق من تفريط أبناء وطنه في الخيرات الوفيرة التي تموج بها أراضيهم. وركونهم إلى الخمول والكسل، واعتمادهم على غيرهم في كل ما يحتاجون إليه، واستسلامهم لبعض العادات القبلية الموروثة، التي تتنكر للعمل اليدوي، وتراه عيباً مشيناً[25]

وحتى لا تتسع المسافة الزمنية تلك، وتظل بعض العادات القبلية البالية حجر عثرة في طريق التقدم والتطور الذي تشرئب له الأعناق؛ نجده يتوجه إلى أبناء وطنه - حكومة وشعباً - لافتاً أنظارهم إلى الخيرات الوفيرة التي تنعم بها أراضيهم، و إسهامها الفاعل في بقاع أخرى من العالم في نهضة ورقي شعوبها. وهو بذلك التوجيه يحاول بث الوعي لديهم بأهمية الصناعة والزراعة في تحقيق الآمال والطموحات التي يتطلع إليها إنسان هذا الوطن، ويهيب بالقادرين منهم مادياً على استثمار أموالهم في هذين المجالين، والمشاركة الفاعلة في دفع عجلة التنمية قدماً، وتقليص المسافة التي تفصلنا عن الغاية التي ننشدها[26]:

فِـيـمَ الـبـقـاءُ على الـرُّكـودِ نُطيـقُـهُ
وإلامَ عـــيـشُ الخـــامـلينَ إلامـــا؟
كـيف السَّـبـيلُ إلى النُّهـوضِ وشَـأْنُنا
حَـجْـزُ النُّقـودِ نَرُصُّـهـا أكْـوامَـا؟
أو كَـيْـفَ يُرْجى أن يعـيشَ مُـعَـزَّزاً
من ليسَ يَرْفَعُ لِلْمـصـانِـعِ هَامَـا؟
مـابَزَّنـا الغَـرْبُ الفَـتِيُّ بِبـأْسِـهِ
لـولا الصِّناعـةُ لم يَكُنْ مِـقْـدامـا
روَّادُهُ قُـــدَراؤُهُ ورُعـــاتُـــهُ
لـم يُـرْهِـقِ الـرُّؤَسـاءَ والحُـكَّامـــا
فـمـتى يُسَلِّمُ بالحـقـيـقـةِ ذاهِلٌ
مُـتـمَكِّنٌ يُزْجي البـلادَ أمـامَـا[27]

والعـلاف في هـذه الأبيـات وسـابقـتـهـا يحث على الاهتـمـام بالصناعة والزراعة، نظراً لتوافر المواد الخام التي تقوم على إثرها الصناعة وتنشط، وصلاحية معظم الأراضي في وطنه للزراعة. لأن في الاهتمام بهذين المجالين خير للوطن والذين ينتمون إليه. فعائد الصناعات -بأنواعها المختلفة -يوجه لإنشاء المشاريع التنموية والمرافق الخدمية التي يحتاج إليها المواطن ويطمح، وبها ينهض الوطن ويصبح في مصاف الدول المتقدمة. كما أن الزراعة من شأنها سد احتياج أبناء الوطن من الأشياء الضرورية التي تكلف

المجتمع -حكومة وشعباً -الكثير من الأموال في سبيل توفيرها، ويمكن الاستفادة من الفائض في تصديره وجني الأموال من ورائه. وبالإضافة إلى ذلك كله ستتوافر فرص عمل للشباب، وبذلك يكون الوطن قد خطا خطوات واسعة في طريق التقدم والنهوض، وحافظ على المنتمين إليه من داء البطالة وما قد يجره من عواقب وخيمة في ظل شح الفرص الوظيفية. ولذلك نجده يلح على الاهتمام بهذين المجالين، ويبين فائدتهما العظيمة[28]:

أَحْيِ الزِّراعةَ والصِّناعة
واحفِزْ لحَضْنِهما الجماعَةْ
واعْلَمْ بأنَّ كِلَيْهما
قَيْدُ البطَالَةِ والمجاعَةْ

ولم يغفل العلاف في دعوته إلى إنشاء المشاريع الإنمائية عن لفت انتباه المسؤولين إلى ضرورة استحداث وزارات تتولى التخطيط والإشراف على المشاريع التي يتشوق إلى رؤيتها الجميع، وتعنى بكل ما من شأنه تحقيق النهوض بالوطن والمنتمين إليه، اجتماعياً، واقتصادياً، وأمنياً، وفكرياً، حيث يقول موجهاً خطابه إلى الملك فيصل -رحمه الله -[29]-:

أمَّا المشَارِيعُ العِظامُ فَإنَّها
أسَدٌ مَخَالِبُهُ أَشَدُّ وأطْولُ

فـيـهـا الـدِّفـاعُ مُـعَـزَّزٌ ومُـرَكَّـزٌ
بـالـكِيـمـيـاءِ وذَرَّةٍ تَـتَـحـلَّـلُ
في السِّلْمِ بَيْـضـاءُ العَطَاءِ و إنَّهـا
حَـمـراءُ عند الحَـيْفِ لا تَتَـمَـهَّـلُ
وَوِزارةٌ لـثـقـافَـةٍ ولِمَجْـمَـعٍ
ولمكتـبـاتٍ تُسْـتَـغَـلُّ فَـتُـوغِـلُ
وَوِزارةُ الإسْكانِ مـن أحْـلامِنـا
فاصْدَعْ بها وأذى الصَّحاري يَخْجَلُ
ومـواصـلاتٌ في الجـزَيرة جَـمَّـةٌ
تَصِلُ النُّهوضَ حَـقِـيـقَـةً لا تغـفلُ
تَثِبُ المصـانـعُ إثْرَهـا نَفَّـاثةً
الصُّلْبُ فـيـهـا والحـديدُ يُجَلْجِلُ
وبهـا السَّـواعِـدُ والرُّؤوسُ تعـاونَتْ
نَحْـلاً لـه زَهْـرُ الـمُـنى يَتَـذَلَّـلُ

3- استنهاض عزائم الشباب

الشباب - في كل أمة - هم العدة والعتاد الذي تعتمد عليه في تحقيق آمالها وطموحاتها، وروادها في رحلتها صوب المجد الذي تتطلع إليه في شوق، بفضل عقولهم النيرة، وسواعدهم الصلبة القوية، و إرادتهم التي تنهد أمامها العقبات.

وإيماناً من العلاف بأهمية شباب وطنه في إحداث النقلة التي يشتاقها لوطنه، وقدرتهم على تحقيق ذلك متى ما وجدوا العناية والاهتمام، ونجحوا في استثمار أوقاتهم، وأدركوا متطلبات المرحلة التي يجتازونها، وأظهروا العزم والتصميم على الوصول بوطنهم إلى المكانة التي يستحقها ؛ وجدناه يوليهم قدراً كبيراً من اهتمامه، ويخصهم بكثير من نصحه و توجيهه، ويرسم لهم طريق النجاح الذي إن سلكوه فازوا بالذكر الحسن في أوساط المجتمع، واستحقوا التخليد في ذاكرة الوطن.

ذلك الإيمان من العلاف بالشباب وقدراتهم جعله حريصاً عليهم قبل أن يصلوا إلى هذه المرحلة من العمر. فها هو ذا يحث الأسر ودور العلم على الاهتمام بالنشء، وتربيتهم على المثل العليا والأخلاق الفاضلة، وإعدادهم إعداداً سليماً، حتى إذا ما كبروا وشبوا عن الطوق كانوا ثماراً صالحة يجني الوطن والمنتمون إليه خيرها[30]:

رَبُّوا الصِّغارَ على الشَّجاعةِ إنَّها
سِرُّ التَّقَدُّمِ مابه نَتَدَرَّعُ
وعلى العَدَالةِ والتَّعاونِ خَالِصاً
لِلْبِرِّ، ليس رِباً يَجودُ ويُطْمِعُ
وعلى الصَّراحةِ والتسامُحِ والنَّدى
وعلى النَّزاهةِ واجْتِهادٍ يَنْفَعُ

وعلى سِواها من فَضائلَ جَمَّةٍ
الدِّينُ يَجْمَعُها ومنها يَنْصَعُ
فَمَكارِمُ الأخْلاقِ زَيْنٌ في الصِّبا
وسِلاحُ صِدْقٍ بعدما يَتَمَيَّعُ[31]
والنَّصْرُ في دُنْيا الصِّراعِ مُتَوِّجٌ
لِكفاحِ مُمْتازِ الشَّمائلِ يَزْمَعُ[32]

وفي لفتة أبوية حانية مشحونة بخبراته الكبيرة التي حصلها من رحلته المليئة بالتجارب والكفاح، نجده يحث شباب وطنه على عدم إهدار أوقاتهم -وهم في هذا السن -في اللهو واللعب، ويحفزهم على استثمارها في التحصيل العلمي والجد والاجتهاد في كسب المعارف والخبرات، والتطلع إلى معالي الأمور ؛ لأن ذلك كله سيعود عليهم بالنفع والسعادة عندما يتجاوزون هذه المرحلة من العمر وتدركهم الشيخوخة[33]:

لَعَمْرُ الذي مَدَّ الحياةَ إلى مَدىً
فليس مَزيدٌ بعده يُتَعقَّبُ
هو العُمْرُ غُفْلٌ في الطُّفولةِ والصِّبا
وشَيْبةِ ضَعْفٍ بعدها الرُّوحُ تَغْرُبُ[34]
إذا لم يكُنْ عهدُ الشَّبابِ مُوَكَّلاً
بِكسْبِ العُلا، فالعَيْشُ موتٌ مُجَرَّبُ

ضَـلالٌ حـيـاةُ المـرءِ شـوكـاً يخـوضُـه
ولـيـس لـه نَـفْـعٌ مـن الـوردِ طَـيِّـبُ
ومـا احـتَـمل الإنسـانُ أشْـقى نِضَـالِهِ
غَـرامَ عـــذابٍ، بـل هُـنـالِكَ مَـطْـلَـبُ
فـغـايَـةُ أشْـواطِ الكِفـاحِ سَـعَـادةٌ
ودونَ انتعاشِ الجَهْدِ فالجِدُّ خُلَّبُ (35)

ويتـوجـه إليـهم حـاثاً على مـجـافـاة الكسل والخـمـول، وشـغل أوقـاتهم بمـا يعـود عليـهم وعلى الـوطن الذي ينتـمـون إليـه بالنفع والفائدة(36):

جَـافِ الـتَّـكـاسُـلَ والمَـلَـلْ
واشْـغِـلْ فَـراغَـكَ بالعَـمَـلْ
واشْـحَـذْ عَـزِيمتَـكَ الـتي
بِكفـاحِـهـا يَـدْنو الأمَـلْ

وعندما رأى منهم مالا يسره بادر إلى لفت انتباههم إلى حاجة وطنهم الماسة لهم، خاصة وقد نالوا قدراً من التعليم يمكنهم من الإسهام بقوة في دفع عجلة التنمية، وتحقيق الآمال والأحلام المنوطة بهم، ويحذرهم في الوقت نفسه من التمادي في الخمول والكسل، وإهدار أوقاتهم وطاقاتهم في اللهو واللعب، بدلاً من استثمارها الاستثمار الأمثل، الذي يكفل لهم تحقيق ذاتهم والحياة التي ينشدونها، وفي ذلك يقول(37):

يا أيُّها النَّشْءُ خُوضُوا في دخائلِكُم
وقَلِّبوها فَإنَّ البَحْثَ مِعْوانُ
لا يُسْعِدُ النَّفْسَ أَمْرٌ مثْلُ خِبْرَتِها
بِذاتِها: إنَّها للنُّجْحِ عُنوانُ
أرى خُمولاً وضَعْفاً في عزائِمِكُمْ
أرى اضطِراباً ويَشْكو البُؤْسَ عِرفانُ
ذكاؤُكُم في تفاهاتٍ وحَذْلقةٍ
مُضيَّعٌ ليس للجِدِّيِّ مِيزانُ
بلادُكم تبتغي شتَّى مرافِقِها
وعْياً يُعانِقُهُ عَزْمٌ و إتْقانُ
وليس يُقْنِعُها فَرْدٌ كفاءَتُه
شهادةٌ مالها في النَّفْسِ بُرْهانُ
لا تهْدِروا الوقْتَ وارعوا حَقَّ حُرْمَتِه
فَعَصْرُكم سُرْعَةٌ والبُطءُ خِذْلانُ
لَتُسْأَلُنَّ عن الأيَّامِ مُدْبِرَةً
متى احتواكُمْ من الأعْمالِ مَيْدانُ
فاسْتَمْرِئوا الجِدَّ واستَوْحُوا مواهِبَكُمْ
فَإنَّ إعْفاءَها ظُلْمٌ وخُسْرانُ
ولْتَتَّقوا العُجْبَ والتَّوفيقُ رائِدُكُمْ
مَا لِلْغُرورِ على الآمالِ سُلطانُ

ولم يقف العلاف صامتاً وهو يرى شباب وطنه قد شرعوا ينفضون غبار الكسل والخمول، ويحققون النجاحات الباهرة في مختلف الميادين والمجالات، وإنما نجده في طليعة المحتفلين بهم والمهنئين لهم بما حققوه من إنجازات ستتجاوزهم آثارها إلى الوطن الذي ينتظرهم في شوق بالغ.

وها هو ذا يقول مهنئاً عدداً من شباب وطنه بمناسبة تخرجهم من إحدى الكليات العلمية التي ابتعثوا إليها في مصر، وينوه بالجهود التي بذلوها في دراستهم، ويرسم فرحة الوطن بتفوق أبنائه وقرب عودتهم إلى أحضانه العطشى[38]:

ظَفَرَتْ بأولِ صَيْدِها الأشْبالُ
فمشى وبارِكَ فَوْزَها الأقْبالُ[39]

طَالَتْ بها الأعْوامُ في إدراكِهِ
تَصِلُ السُّرى وسَبِيلُها الأعْمالِ

لا الجَهْدُ هَدْهَدَ من جَسيمِ كِفَاحِها
كَلاَّ ولا بَتَرَ المسيرَ كلالُ

والمرءُ يَحْظى بالمُنى مَا جادَها
كَدْحاً، ويَهْنأُ بالرُّؤى المِكسالُ

اليومَ تَخْضرُّ الصَّحاري بَهْجةً
ويَدُبُّ في أشْواكِها الإبْلالُ

تطفـو ربـى نَجْـدٍ تَحـيـةَ مُـعـجبِ
وتقـومُ فـي غَـوْرِ الحِـجَـازِ جِـبـالُ

ويتيه فخراً بالإنجازات التي يحققها شباب وطنه في مختلف الميادين والمجالات، وأكثر ما يتجلى ذلك في احتفاله بالأمير الشاب سلطان بن سلمان بن عبد العزيز، بعد عودته من الفضاء الذي راده كأول عربي مسلم يحقق ذلك[40]:

قـد شَـقَّ أجـوازَ الفَـضَـاءْ
وسـرى وأمْـعَنَ فـي ارتِقـاءْ
نَسْـرٌ تَضـاعـفَ هِمَّـةً
(سلطـانُ) مـوفـورَ الثنـاءْ
قـد حـقَّقَ الحُلْمَ الكبـيـ
ـرَ لِكَشفِ أجْـرامِ الضِّـيـاءْ
أعْطى الحـضـارةَ نَفْـحـةً
بـل زادَ أسْـبـابَ الرَّخـاءْ
أرضُ الـعُـروبـةِ تحْـتَـهُ
أعْـمـاقُـهـا رَهْنُ الـجَلاءْ
والبَـحْـرُ أيضاً شَفَّ عـن
مَكْنـونهِ حـتـى الهَـوَاءْ
وتَمَـحَّـصَـتْ ... أرْصَـادُهُ
لم يُخْـفِ منهـا مـايَشَـاءْ

ويجسد فرحة العرب في كل مكان، والجزيرة العربية بكل مظاهرها بذلك الإنجاز الذي حققه أحد أبنائها[41]:

مَـــــجْـدُ العُـروبةِ باسِمٌ
مـن بَعْـدِ حُـزنٍ واسْـتِـيـاءْ
عُـــشْـبُ الجـــزيرةِ راقِصٌ
حـتـى الصُّـقـورُ لهـا غِناءْ
أعْـظِـمْ بِـتِـلْـكَ بُـطـولـةً
منهـا الخلودُ له انْتِـشـاءْ